أسماء الله وأثرها في حياتنا

روى أحمد وغيره عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا " ، قَالَ: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ: " بَلَى، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا "

@ أسلوب الحصر والقصر باستعمال آداة النفي "ما" والاستثناء "إلا" كقوله: " وما من إله إلا الله"]آل عمران : ٦٢ [، "ما قلت لهم إلا ما أمرتني به"]المائدة : ١١٧. [أسلوب عربي يدل على الاختصاص وأصل استعمال هذا الطريق أن يكون المخاطب جاهلا بالحكم.

@ ف"أحد" هنا نكرة في سياق النفي، وهي من صيغ العموم، فأي أحدٍ: رجل أو امرأة، شيخ كبير أو شابّ أو صغير.

@ قط لتأكيد قوة هذا الدعاء في إزالة الهم والحزن ولو كان عظيما.

@ "هم ولا حزن" فالحزن يكون على أمرٍ مضى خلافَ الهمّ الذي يكونُ على أمرٍ مستقبليّ. وإن كان من أمر حاضر أحدث الغم.

@ ثم قال: "همٌّ ولا حزنٌ"، جاء به مُنكرًا، فهذا يصدق على كلِّ ما يكون من هذا القبيل: الهمّ والحزن أيًّا كان منشأه، يعني: سواء كان ذلك بسبب كائنةٍ ووقائع عامَّة، كما هو حال الأمّة اليوم -نسأل الله تعالى أن يرفع عنها البلاء-، أو كان ذلك لأمرٍ يخصّه مما يكرهه في نفسه، أو ماله، أو ولده، أو نحو ذلك، فهذا يصدق على جميع ما يمكن أن يُقال له: همٌّ أو حزنٌ، قلَّ ذلك أو كثر.

@ والتَّفكيرُ في ذلك مُقلقًا لصاحبه؛ ولذلك كان القلقُ يعصف في نفوس الناس بمثل هذه الأعصار والأزمان، فإذا قوي اليقينُ والتَّوكل على الله -تبارك وتعالى- والرضا بقضائه؛ فإنَّ ذلك يُخفف عنه وطأته حتى يتلاشى، ولكن هذه الأمور تحتاج إلى رياضةٍ للنفوس، وتربيةٍ، ومُجاهداتٍ، وتحتاج إلى صبرٍ، ولربما يطول أوانُ ذلك حتى تستقيم له النفس، لكن من رحمة الله -تبارك وتعالى- لعلمه بقلَّة صبرنا، وضعفنا، وعجزنا؛ أنَّه ذكر لنا حلولاً عاجلةً آنيةً وقتيَّةً يظهر أثرُها مباشرةً؛ ولذلك انظر في هذا الحديث كيف جاء به بهذه الصِّيغة؟ الحصر والقصر :ما أصاب أحدًا قطّ همٌّ ولا حزنٌ فقال، ثم ذكر هذا الذكر :إلا أذهب اللهُ همَّه وحُزنَه، وليس فقط إزالة وجلاء، وإنما وأبدله مكانه فرحًا.

@ إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك.

وهذا يتناول من فوقه من آبائه وأمهاته إلى أبويه آدم وحوّاء, وفي ذلك تملّق له واستخذاء بين يديه واعتراف بأنه مملوكه وآبائه مماليكه

اعتراف العبد بأنه مخلوق للّه تعالى، مملوك له، هو وآباؤه وأمهاته، ابتداءً من أبويه المقربين، وانتهاءً إلى آدم وحواء، فالكل مماليك للّه عز وجل خالقهم، ومدبّر أمورهم، وشؤونهم، لا غنى لهم عنه طرفة عين، وليس لهم من يلوذون ويعوذون به سواه، وأن العبد ليس له غير باب سيّده وفضله وإحسانه, وأن سيّده إن أهمله وتخلّى عنه هلك, ولم يؤويه أحد ولم يعطف عليه, بل يضيع أعظم ضيعة

وهذا فيه كمال التذلّل والخضوع والاعتراف بالعبودية للّه تعالى؛ لأنه لم يكتف بقوله)) :إني عبدك ((بل زاد فيه))ابن عبدك ابن أمتك ((دلالة على التأكيد والمبالغة في التذلّل، والعبودية للّه تعالى؛ لأن من ملك رجلاً ليس مثل من ملكه مع أبويه

@ النَّاصية هي مُقدّم الرأس، يعني: لا حولَ لي ولا قوَّة إلا بك :مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا [هود:٥٦]، فلا تصرّف لي، ولا حولَ، ولا طولَ، ولا دفعَ، ولا نفعَ إلا بإعانتك وقوَّتك.

@ قال :ماضٍ فيَّ حكمك، عدلٌ فيَّ قضاؤك، "ماضٍ" أي: ثابت ونافذ، "فيَّ" أي: في حقِّي، "حكمك" الحكم الكوني، والحكم الأمري، فكلّ ذلك يجري على الإنسان، ما حكم اللهُ تعالى عليه من الأحكام الشَّرعية فهي نافذة فيه، وكذلك من الأحكام القدرية الكونية، لا بدَّ أن يقع.

@ اعلم أنَّ ما أصابك لم يكن ليُخطئك، وما أخطأك لم يكن ليُصيبك، إذن انتهى :لو اجتمعت الأُمَّةُ على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه اللهُ لك، ولو اجتمعوا على أن يضرُّوك لم يضرُّوك إلا بشيءٍ قد كتبه اللهُ عليك، قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا [التوبة:٥١]، فكلّ ذلك قد كتبه الله تعالى وقدَّره، فإذا عرف العبدُ ذلك استراح، واطمأنَّ قلبُه، ويعتقد أنَّ ذلك جميعًا من العدل، لا ظلمَ فيه.

عدلٌ فيَّ قضاؤك، ما قدَّرته عليَّ فهو عدلٌ؛ لأنَّ ذلك في موضعه، وإذا عرف العبدُ أنَّ ما أصابه من المكروه، أو المرض، أو ما وقع للأُمَّة من البلاء، أو نحو ذلك؛ أنَّ هذا من العدل،

والله تعالى يقول :وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ] الشورى:٣٠[، قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا الهزيمة في يوم أحدٍ :قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ [آل عمران:١٦٥]، فذنوب العباد لو يُؤاخذهم الله تعالى بها جميعًا :مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ] فاطر:٤٥.[

فقوله :ماضٍ فيَّ حكمك، عدلٌ فيَّ قضاؤك هذا مُتضمن لأصلين عظيمين كما يذكر الحافظُ ابن القيم[13]، عليهما مدار التوحيد:

الأول: إثبات القدر، وأنَّ أحكامَ الرب -تبارك وتعالى- نافذةٌ في عبده، ماضيةٌ فيه، لا انفكاكَ له عنها، ولا حيلةَ له في دفعها.

الثاني: أنَّه -تبارك وتعالى- عدلٌ في هذه الأحكام، غير ظالمٍ لعبده، بل لا يخرج فيها عن العدل والإحسان، فبموجبات ذلك فالظُّلم سببه حاجة الظالم، أو جهل الظالم، أو سفه الظالم، وهذا كلّه لا يمكن أن يكون في حقِّ الله -تبارك وتعالى-؛ فهو بكل شيءٍ عليم، وكذلك هو غنيٌّ عن كل شيءٍ، كل شيءٍ فقيرٌ إليه، وهو أحكم الحاكمين، فلا تخرج ذرَّةٌ من مقدوراته عن حكمته وحمده، كما لم تخرج عن قُدرته ومشيئته، فحكمته نافذةٌ، حتى نفذت مشيئته وقُدرته.

@@ وكل هذا توسل بالأعمال الصالحة من الإيمان بالله والإقرار بتوحيد الربوبية والإيمان بالقضاء والقدر زحكم الله النافذ وعدله وحكمته .. وهو من أنواع التوسل إلى الله الجائز.

@((أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ)).

انتقل هنا لنوع آخر من التوسل المشروع لله تعالى وهو التوسل له بأسمائه الحسنى وصفاته العلى.

"أسألُك بكلِّ اسمٍ هو لك"، أي: أدْعوك وأطلُبُ منك بكلِّ أسمائِك، "سمَّيْتَ به نفْسَك"، أي: ذاتَك، وهو مُجْمَلٌ، وما بعدَهُ تَفصِيلٌ له على سبِيلِ التَّنويـعِ الخاصِّ، والمعنى: أنَّك يا ربِّي وضَعْتَ ألفاظًا مخصوصةً، وسمَّيْتَ بها نفْسَك، "أو علَّمْتَه أحدًا مِن خلْقِك"، أي: مِن الرُّسلِ، أو الملائكةِ، أو الأولياءِ، ومِن خُلاصَتِهِم، "أو أنزَلْتَه في كتابِك"، أي: في أيِّ كتابٍ مِن الكُتبِ المنزَّلةِ على الرُّسلِ،

"أو استأثرْتَ به في عِلْمِ الغيبِ عندَك"، أي: انفردْتَ بعِلْمِه، وهذا محمولٌ على أنَّه انفرَدَ به بنفْسِه، ولا ألْهَمَه أحدًا ولا أنزَلَه في كتابٍ

قواعد في أسماء الله تعالى:

القاعدة الأولى: أسماء الله تعالى كلها حسنى.

أي: بالغة في الحسن غايته، قال الله تعالى: {وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} ، وذلك لأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه، لا احتمالاً ولا تقديرًا.

مثال ذلك: "الحي" اسم من أسماء الله تعالى، متضمن للحياة الكاملة التي لم تسبق بعدم ولا يلحقها زوال. الحياة المستلزمة لكمال الصفات من العلم والقدرة والسمع والبصر وغيرها.

القاعدة الثانية:

أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف أعلام باعتبار دلالتها على الذات، وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني، وهي بالاعتبار الأول مترادفة لدلالتها على مسمى واحد، وهو الله عز وجل، وبالاعتبار الثاني متباينة، لدلالة كل واحد منهما على معناه الخاص.

ف "الحي، العليم، القدير، السميع، البصير، الرحمن، الرحيم، العزيز، الحكيم" كلها أسماء لمسمى واحد وهو الله سبحانه وتعالى، لكن معنى الحي غير معنى العليم، ومعنى العليم غير معنى القدير، وهكذا.

القاعدة الثالثة: أسماء الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها.

وعلى هذا فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة، فلا يزاد فيها ولا ينقص؛ لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء، فوجب الوقوف في ذلك على النص.

القاعدة الرابعة:

أسماء الله تعالى غير محصورة بعدد معين لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المشهور: " أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك" الحديث، رواه أحمد وابن حبان والحاكم، وهو صحيح.

فأما قوله صلى الله عليه وسلم: "إن لله تسعة وتسعين اسما، مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة" فلا يدل على حصر الأسماء بهذا العدد إذًا فمعنى الحديث: أن هذا العدد من شأنه أن من أحصاه دخل الجنة.

ولم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم تعيين هذه الأسماء، والحديث المروي عنه تعيينها ضعيف.

@ والإحصاء المذكور في الحديث يتضمّن ما يلي:

-1 الإحاطة بها لفظاً.

-2معرفة معناها.

-3العمل بمقتضاها : فإذا علم أنّه الأحد فلا يُشرك معه غيره ، وإذا علم أنّه الرّزّاق فلا يطلب الرّزق من غيره ، وإذا علم أنّه الرحيم ، فإنه يفعل من الطاعات ما هو سبب لهذه الرحمة ... وهكذا.

-4دعاؤه بها ، كما قال عزّ وجلّ : (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا) الأعراف/١٨٠ . وذلك كأن يقول : يا رحمن ، ارحمني ، يا غفور ، اغفر لي ، يا توّاب ، تُبْ عليّ ونحو ذلك.

القاعدة الخامسة: الإلحاد في أسماء الله تعالى هو الميل بها عما يجب فيها وهو أنواع:

الأول: أن ينكر شيئا منها أو مما دلت عليه من الصفات والأحكام، كما فعل أهل التعطيل من الجهمية وغيرهم. (الأشاعرة والمفوضة)

الثاني: أن يجعلها دالة على صفات تشابه صفات المخلوقين، كما فعل أهل التشبيه، وذلك لأن التشبيه معنى باطل لا يمكن أن تدل عليه النصوص، بل هي دالة على بطلانه، فجعلها دالة عليه ميل بها عما يجب فيها.

@ ((أن تجعل القرآن ربيع قلبي)): أي: فرح قلبي، وسروره، وخُصَّ ((الربيع)) دون فصول السنة؛ لأن الإنسان يرتاح قلبه في الربيع من الزمان، ويميل إليه ويخرج من الهمّ والغمّ، ويحصل له النشاط والسرور والابتهاج)).

((فتضمّنت هذه الدعوة سؤال اللَّه تعالى أن يجعل قلبه مرتاحاً إلى القرآن، مائلاً إليه، راغباً في تدبره))).

وهذا يدلّ على أن القرآن هو الشفاء الناجح لمن تأمله وتدبّره، وتمسّك به .

قوله: ((ونور صدري)): أي تشرق في قلبي بأنوار المعرفة، فأميّز الحق والباطل.

قوله: ((وجلاء حزني، وذهاب همّي)): الجلاء هو: الانكشاف، أي انكشاف حزني وهمّي؛ لأن القرآن شفاء، كما قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾؛ لأنه كلام اللَّه تعالى الذي ليس كمثله شيء، وأي شيءٍ يقف أمام هذا الكلام العظيم، فالقرآن الذي هو أفضل الذكر، كاشف للحزن، ومُذهب للهمّ لمن يتلوه بالليل والنهار بتدبّر وتفكّر، فليس شيء مثله مُذهب للأوهام والأحزان، والأمراض النفسية العصرية، وفيه من نعيم القلب، وأنسه، ولذّاته، وراحته ما لا يوصف، وعلى قدر تحصيل العبد لكتاب اللَّه تعالى: تلاوةً، وحفظاً، وفهماً، ومدارسةً، وعملاً ينال من السعادة والراحة والطمأنينة والعافية في البدن والنفس ما لا يحصيه إلا اللَّه تعالى.

@"إلَّا أذهَبَ اللهُ هَمَّه وحُزْنَه، وأبدَلَه مكانَه فرَجًا"، وهذه نتيجةٌ للدُّعاءِ السَّابقِ واستجابةٌ مِن اللهِ لعَبْدِه

ولما كان الحزن والهم والغم يضاد حياة القلب واستنارته, سأل أن يكون ذهابها بالقرآن, فإنها أحرى ألا تعود, وأما إذا ذهبت بغير القرآن من صحة أو دنيا أو جاه أو زوجة أو ولد, فإنها تعود بذهاب ذلك.

@ قال ابنُ مسعودٍ رضِيَ اللهُ عنه: "فقِيل: يا رسولَ اللهِ، ألَا نَتعلَّمُها؟ فقال: بَلى، يَنْبغي لمَن سمِعَها أنْ يَتعلَّمَها"، أي: يتوجَّبُ أنْ يتعلَّمَها كلُّ مَن سمِعَها؛ لِعِظَمِ ما في هذه الكلماتِ والدَّعواتِ، وكلُّ إنسانٍ مُحتاجٌ إليها.